

تجلي صورة الإمام علي (عليه السلام) في القصيدة الأزرية لحمد كاظم الأزرية في ضوء التناص الديني

الأستاذ المساعد الدكتور

مؤسى عربي

moosaarabi@yahoo.com

جمهورية إيران الإسلامية

جامعة شيراز

طالبة الدكتوراه زهراء هاشمي زنكي

جامعة خليج فارس - بوشهر

ملخص

شهد الشعر الملتزم بحب النبي و أهل البيت (عليه السلام) تطورات منذ صدر الإسلام إلى يومنا هذا كما نري أنه في العصر الأموي شهد هذا النوع من الشعر أفولاً وفي العصر العباسي أقبل الشعراء عليه كما في عصرنا هذا نشاهد هذا الإقبال المتزايد ومن هؤلاء الشعراء الملتزمين الكبار للعراق في القرنين ١٢ و ١٣ هو محمد كاظم الأزرى والذي اشتهر بمدح النبي (ﷺ) و أهل البيت (عليه السلام) وأنشد قصيدة باسم الأزرية أو الهائية ولم يبق منها إلا ٥٨٠ بيتاً.

نظراً لأهمية الشعر البالغة في مدح النبي (ﷺ) و أهل البيت (عليه السلام) خاصة الإمام علي (عليه السلام) قمنا بدراسة صورة الإمام علي (عليه السلام) في القصيدة الأزرية بناءً على آليات التناص الديني والذي يعتبر من أهم أنواع التناص عند محمد كاظم الأزرى والنتائج للبحث هذا، تشير إلى أن التداخلات التناصية غائبة وحاضرة لقصيدة شيخ الأزرى تستخدم مرة بشكل شعوري ومباشر و أخرى بشكل لاشعوري وغير مباشر واستخدام النص الغائب بأشكال شعورية ولاشعورية يكشف عن مدي العقائد العريقة للشاعر ومعلوماته الواسعة في حقل الدين والآيات والأحاديث المروية حول الإمام علي (عليه السلام) بشكل خاص و أهل البيت بشكل عام.

الكلمات الرئيسية: علي بن أبي طالب ، محمد كاظم الأوزي ، القصيدة الأزرية ، التناص الديني .

المقدمة

شعراء الشيعة شربوا من ينابيع الحقائق، ومعارف القرآن والأحاديث وقدموا نتائجها إلي الناس طوال الدهر شعرا وثورا في أغراض وأساليب ملونة. وأنشدوا أشعارا في مدح ورثاء الأئمة وأهل البيت (عليه السلام) من صدر الإسلام مروراً إلي العصر البعاسي وحتي يومنا هذا لينشروا فضائل أهل البيت (عليه السلام) طوال ١٤ قرناً كما تم تأييد أعمالهم حيث يقول الإمام الصادق (عليه السلام): « من قال فينا بيت شعر بني الله بيتاً له في الجنة ». (حر عاملي، ١٣٩١: ١٠/٤٦٧)

ومن هؤلاء الشعراء الملتزمين هو محمد كاظم الأوزي (ت ١١٤٣) والذي جعل شعره ذكراً للنبي (صلى الله عليه وآله) وأهل البيت (عليه السلام) وهكذا شعره أخلد ذكره وجعله من أعلام الأدب الملتزم بحب أهل البيت (عليه السلام) للأجيال القادمة . وهو يعتبر من كبار الشخصيات في أواخر العهد العثماني في العراق كما كان آل أوزي من كبار عوائل العراقية المعروفة في القرنين ١٢ و ١٣ هـ . وأما ذات صيته بسبب قصيدته الهائية الأزرية والتي تبدأ بهذا البيت:

لمن الشمس في قباب قباها شف جسم الدجى بروح ضياها

الشريخ الأوزي استلهم في تصوير الإمام علي (عليه السلام) وفضائله من مصادر جامعة مثل القرآن والأحاديث وأضفي استخدام الآيات والروايات علي شعره قيمة عالية ونحن نحاول في هذا البحث أن نلقي الضوء علي صورة الإمام علي (عليه السلام) في ضوء التناص الديني بشتي أساليبه وفنونه ونرد علي سؤال البحث و هو كيف الشاعر قام بتصوير الإمام علي (عليه السلام) من خلال أساليب التناص الديني ؟

الدراسات السابقة:

هناك بحوث تناولت القصيدة الأزرية ومنها شرح هذه القصيدة لأحمد معتوق المطبوع في سنة ١٩٩٦ م وذلك شرح أبيات القصيدة بعد مقدمة في حياة الشاعر و أيضاً بحث آخر قام الباحث في رسالة الماجستير بجامعة آزاد بطهران سنة ١٣٨١ هـ.ش بترجمة

وشرح لغات القصيدة وهذه البحوث غير ما قمنا به في هذا المقال ولم تتناول البحوث السابقة التناسل الديني في القصيدة وفصائل الإمام علي (عليه السلام) مستقلاً.

محمد كاظم الأزري حياته وشعره:

الشيخ محمد كاظم ولد في بغداد سنة ١١٤٣ هـ وتوفي سنة ١٢١١ هـ غرة جمادي الأولي حسبما يذكره صاحباً الذريعة والكني والألقاب، ودفن في الكاظمية ولهم مقبرة خاصة فيها قبالة مدفن السيد المرتضي علم الهدى والآن هي في داخل بناية مقبرة السيد. (الأزري: ١٩٨٩: ٥) يشير آقا بزرج الطهراني الي نسبه قائلاً: « إنه شيخ محمد كاظم بن محمد بن مراد بن مهدي بن ابراهيم بن عبدالصمد بن علي البغدادي التميمي ». (آقا بزرج الطهراني، ١٩٥٣ م: ٩/ ٦٩).

قال المرحوم الحاج عبد الحسين الأزري في مقال له: بيت الأزري بيت علم وثراء، ويظهر من ورقة الوقف المشهورة بوقف بيت الأزري، وبعض الحجج الشرعية القديمة أن أسرة هذا البيت كانت تقطن بغداد منذ أكثر من ثلاثة قرون. أما قبل ذلك فلا نعلم عنها شيئاً. (الأزري، ١٩٨٠: ١٧) فمن هذه الأسرة الشيخ محمد كاظم وهو الشاعر الملتزم والمتعهد الذي قد جعل قريحته الشعرية في خدمة أهل البيت (عليه السلام)، فكان من فحول الشعراء القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة، « وهذا القرن الثالث عشر بالخصوص كان لامعاً من ناحية أدبية في تاريخ القرون الإسلامية بعد القرن الرابع وكان زاخراً بالشعراء المجيدين كالرابع. في الحقيقة إن الروح الأدبية في العالم العربي بعد القرن الرابع قد تدنت وجمدت الي حد بعيد ولم يعد الأدب في القرون اللاحقة إلا صناعة لفظية باهتة، وفجأة بدت تباشير حركة أدبية عالية في العراق في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الذي كان صاحبنا المترجم له وأخوه الشيخ محمد رضا من ألمع شخصياته الأدبية». (الأزري، ١٩٨٩: ٧)

وأما سبب شهرته الأصلية هي ديوانه الكبير خاصة ألفيته المشهورة بإسم "الأزرية"، التي قد طبقت شهرتها الآفاق وخلدت شاعرها في الطبقة الأولى من الشعراء، ولا غرو في ذلك فقد جاء بهذه القصيدة أغراضاً شعرية عديدة ومنها: الغزل، والدعا، ومدح السيد الرسل وآل بيته (عليه السلام) وراثتهم، وكثير من المعاني القرآنية والروائية والحماسة الدينية بحيث يمكن اعتباره كتاب ديني أكثر من أن تعد قصيدة، إضافة الي بعض من

الآيات التي تدور حول الفقه والفلسفة والحكمة والقصص التاريخية، كما قد اشتملت القصيدة علي أكثر من ٤٠ بيتا من الأمثال وهذا الأمر قد ازداد غزارتها وجمالها الفني واثراء نتاجاته ومن ناحية أخرى أن الشاعر قد أنشد القصيدة كلها بروي خاص، حيث نري وحدة القافية في القصيدة بأسرها. فقد امتلأ ديوانه بكثير من الفنون البلاغية التي من أبرزها التلميح، والاستعارة، والجناس وماعدا ذلك. فانها تبلغ ألف بيت لكن ما بقي منها إلا ٥٨٧ بيتا.

في الحقيقة إن الشيخ محمد كاظم الشاعر الجليل والكبير الذي يكفيه هذه القصيدة لتدل علي شاعريته وبراعته وسلامة ذوقه و شهرته العالمية، فنفسه يشير الي إبداعاته وتمكنه من المعجزات بهذا البيت الذي قد جاء في مقدمة ديوانه:

يا أبا أحمد روي دا روي دا أنا في الشعر صاحب المعجزات

(الأزرى، ١٩٨٠م : ٩)

التناص لغة واصطلاحاً:

التناص لفظ يعود أصله الي نصص، وقد أورد أصحاب المعاجم اللغوية مجموعة من المعاني لنصص ، فقد جاء في لسان العرب أن النص: رفعك الشيء. نص الحديث ينصّه نصّاً: رفعه وكل ما أظهر فعد نصّاً. (ابن منظور: مادة نصص) كما أشار الي هذا المعني الفيروزآبادي: نصّ الحديث اليه: رفعه. ونصّه : ناقشه.(الفيروزآبادي: كلمة نصص)

وأما واضع مصطلح التناص كنظرية ما، هي جوليا كريستيفا البلغارية التي تحمل الجنسية الفرنسية فإنها أول من وضع مصطلح (Intertextuality : التناص) عام ١٩٦٦ م. مع هذا أن كريستيفا قد تخلت عن مصطلح التناص عام ١٩٨٥ م ، وآثرت عليه مصطلحا آخر هو الثقيلة، إذ تقول: إن هذا المصطلح التناصي الذي فهم غالبا بالمعني المبتدل لنقد الينايع فينص ما، نفضل عليه مصطلح الثقيلة.(عزام، ٢٠٠١م: ٢٩) ثم ظهر رولان بارت (Roland Barthes) وحملي نظرية كريستفا فانتشر نظريته المعروفة "موت المؤلف" في مقالة سنة ١٩٦٨. (الغدامي، ١٩٩٢: ٣٢٦)

في الحقيقة النص شعريا كان أو ثريا ليس عالما مغلقا، بل هو عالم منفتح علي عوالم جديدة في تفاعله مع النصوص الأخرى من خلال التأثير والتأثر وهذا التفاعل بين النصوص المتعددة وتجارب خالق الآثار القديمة ودمجها في تجارب الشاعر يسمي التناص، وفي سبب ظهور التناص، يرى بعض النقاد المعاصرين بأن مغالاة البنيويين في دراسة النصوص وتحليلها أدت الي ظهور التناص؛ إذ إن البنيويين يعتقدون : «إن النص الأدبي بناء لغوي قائم بذاته ويفسر نفسه بنفسه، ومن ثم فهو لا يحتاج الي مؤثرات خارجية تقحم فيه إقحاما». (طعمه حلبى، ٢٠٠٧: ١٣)

وأما مصطلح التناص ليس لديه خلفية عريقة في الأدب العربي الحديث، بل ورد هذا الاصطلاح جديدا في الأدب العربي ولكن قدأولي نقاد العرب القدامي بمفهوم التناص أو التداخل النصي عنايتهم وعالجوه لا بتسميتها المعاصرة وإنما بتسميات أخرى كالموازنة والمناضلة والوساطة والتضمين والاقتباس والاستشهاد والسرقات والمعارضات والنقائص. (عزام: ٢٠٠١: ١٢) منذ ورد مصطلح التناص في الأدب العربي، تشتت الآراء حول تسميته وتعريبه فلم يتفق عليه العرب المعاصرون بعد، علي تعريب مصطلح (intrtextualite) فبعضهم يعرّبه "التناص" وآخرون "التناصية" وفريق ثالث بـ"النصوصي" ورابع بـ"تداخل النصوص". مع ذلك فإن المصطلح الأول التناص هو الذي شاع وانتشر. (عزام، ٢٠٠١: ٤٠)

فإذن كل نص يتداخل بنصوص أخرى حيث يذوب النص السابق في النص الحاضر وتندمج النصوص المتعددة في نص واحد كما يقدم إبراهيم الرّماني تعريفا لهذا المصطلح ويقول: «التناص هو مجموعة النصوص المستترة التي يحتويها النص الشعري في بنيته، وتعمل بشكل باطني علي تحقق هذا النص وتشكل دلالته □». (رماني، ١٩٨٨: ٤٨)

أنواع التناص

التناص ينقسم إلي أقسام مختلفة من أنظار متعددة فبعض يقسم التناص الي نوعين أساسيين: نوع يعود الي الشكل وهو ما سماه محمد مفتاح بـ "التناص الخارجي"، (مفتاح، ١٩٩٢: ١٢٤) ونوع يعود الي المضمون وهو ما سمي بـ "التناص الداخلي". (مفتاح، ١٩٩٢: ١١٤)

كما يقسمه كريستفا نفسه الي ثلاثة أنماط:

١. النفي الكلي: وفيه يكون المقطع الدخيل منفيًا كليًا، ومعني النص المرجعي مقلوبًا.
٢. النفي المتوازي: حيث يظل المعني المنطقي للمقطعين هو نفسه إلا أن هذا لا يمنع من أن يمنح الاقتباس للنص المرجعي معني جديدًا.
٣. النفي الجزئي: حيث يكون جزء واحد من النص منفيًا. (كريستفا، ٢٠٠٥ : ٧٩-٧٨)
وللتناص أنواع أخرى من هذه التقسيمات يمكن الإشارة الي التناص الظاهري والشعوري والتناص غير الظاهري ولا الشعوري.
كما يقسمه حسين جمعة الي التناص المستقيم نحو: السرقة، والاقتباس، والأخذ و... والتناص غير المستقيم نحو: الكناية، والتلميح، والرمز و... . (جمعه، ٢٠٠٣ : ١٥٨)

ومن أبرز أنواع التناص هو التناص الديني الذي يمكن تقسيمه الي ثلاثة أقسام هي التناص بالآيات القرآنية، والتناص بأحاديث النبي (ﷺ) وآل بيته (عليه السلام) والتناص بالأدعية والشعائر.

يعرف أحمد الزعني التناص الديني ويقول: « التناص الديني هو استحضار الشاعر بعض القصص أو الإشارات التراثية الدينية وتوظيفها في سياقات القصيدة لتعميق رؤية معاصرة يراها في الموضوع الذي يطرحه أو القضية التي يعالجها. ويفترض في هذه التناصات أن تنسجم مع النص الجديد وتعمقه وتثريه فنيا وفكريا». (الزعني، ٢٠٠٠م: ١٣١)

التناص في القصيدة الأزرية

محمد كاظم كان شاعرا شيعيا ملتزما في أشعاره باعتقاداته ودينه، فلذا قد كثر في ديوانه عامة وقصيدته المذكورة خاصة الآيات والأحاديث، فقد جعل شعره في خدمة أهل البيت (عليه السلام)، وهذه ميزة كثير من شعراء الشيعة حيث يقول قاسم مختاري في كتابه بأن: « الشعراء الشيعي قد استفادوا من الألفاظ والمصطلحات القرآنية والأحاديث بشكل يمكن الاعتراف بأن الشعر الشيعي المتعهد قد اندمج مع القرآن والأحاديث اندماجا باهتا ». (مختاري، ١٣٨٠ش: ١٤٤) الأمر الذي يجده المتتبع عند الشعراء الشيعي نحو السيد حميري، دعل الخزاعي، وماعداهما حين مدحهم للنبي والأئمة (عليه السلام).

أكثر أنواع التناص في القصيدة الأزرية هو التناص الديني مشيراً الي أحاديث النبي وآل بيته (عليه السلام) حيث أدخل الشاعر هذه الالية في أبياته بشكل مباشر مرة وأخري بشكل غير مباشر ولا شعوري، فإنه يستثمر التناص مع مرجعياته الدينية والتاريخية لخدمة وجهة نظره ويلغي الحدود بين النصوص القديمة والجديدة.

١. التناص القرآني في القصيدة الأزرية

ينقسم هذا الشكل من التناص في القصيدة المذكورة بالتناص اللفظي من جهة استعمال الألفاظ القرآنية داخل الأبيات، والتناص المعنوي. وأما في النوع الأول يحافظ الأزري علي بنية النص القديم نسبياً مرة ويستخدم بعض ألفاظه متناسباً مناخها الشعري مرة أخرى.

الف) الألفاظ القرآنية

استعمال المفردات والألفاظ القرآنية هو من أبرز التناصات عند الشاعر القرن الثاني عشر محمد كاظم الأزري الذي أدرك بأن القرآن الكريم كفن بلاغي يثري لغته الشعرية، فإذا أخذ مفاهيمه حيث يجعل شعره أقرب الي إدراك الناس والتأثير عليهم فإذا امتلأت قصيدته بالألفاظ القرآنية التي تشير الي بعضها نموذجاً:

٣٥٣. فتأمل (بعم) تئنك عنه نبأ، كل فرقة أعياما

"عم" اسم آخر لسورة النبأ حيث تبدأ السورة بـ "بعم يتساءلون"، والمفسرون من أهل الشيعة والسنة يعتقدون بأن المراد من الآيات الأولى من السورة أي: ﴿عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ﴾ (٢) الَّذِي هُوَ فِيهِ مَخْلِفُونَ (٣) كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٥) (النبأ/٥-٢) هو الإمام علي (عليه السلام). «منه روي عبد الخير عن علي قال: سألت صخر بن حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن الخلافة من بعدك؟ قال: يا صخر الإمامة بعدي لمن هو مني بمنزلة هارون من موسى فنزل «عم يتساءلون إلخ» إلي أن قال: فلا يبقى ميت في شرقي الأرض ولا غربيها في بحر ولا بر إلّا منكرو نكير يسألونه عن ولاية أمير المؤمنين علي وخلافته يقولون للميت: من ربك وما دينك ومن إمامك. ثم قال: قال الإمام الفاضل: أجمع المفسرون أن النبأ العظيم هو علي». (الشوشتری، ١٤٠٩: ٣٧٦/١٤). وقد وصف الإمام نفسه قائلاً: «ألا وإني فيكم أيها الناس كهارون في آل فرعون وكباب حطه في بني إسرائيل

وكسفينة نوح (عليه السلام) في قوم نوح وإني النبا الأعظم والصدیق الأكبر و عن قليل ستعلمون ماتوعدون وهل هي إلا كلعقة الأكل ومذقة الشارب وخفقة الوسنان». (ابن أبي فراس: ١٣٧٨: ١/ ٥٠٤)

الشاعر استعمل بشكل مباشر ألفاظ (عم)، و (نبا)، فالنبا العظيم هو الإمام (عليه السلام) وولايته، وهكذا استفاد الشيخ من الية التناص بسورة نبا في بيته ووظفه توظيفاً حياً وجعله في خدمة بيان فضائل الإمام، وهذا الأمر يدركه المخاطب بمحض قراءة الآيات حيث قد استحكم الشاعر شعره بالآيات القرآنية وجعل كلامه مستنداً.

كما يقول في بيت آخر حين يثني النبي (ﷺ) قائلاً منزلة الإمام عند الرسول:

١٧٦. **مَلِكٌ شَدَّ أَرْزَهُ "بِأَخِيهِ" فَاسْتَقَامَتْ مِنَ الْأُمُورِ قَنَاهَا**

الملك هو رسول الله (ﷺ)، أخو رسول الله (ﷺ) هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام). الآيات هذه تشير إلى الآيات ٢٩، ٢٦، ٢٥، و ٣١ من سورة طه، إذا دعا موسى (عليه السلام) الله أن يجعل له وزيراً من أهل بيته لكي ينصره في دعوته. فالشاعر قد جاء بالتناص ووظف قصته في دلالة جديدة، لأنه قد نزلت هذه الآيات في وصف نسبة هارون لموسى لكن قد استعملها الشاعر للإمام علي (عليه السلام) وسمّاه أخ النبي عليه الصلاة والسلام، إذ يقول الرسول: «أقول كما قال أخي موسى (عليه السلام): ﴿ قَالَ رَبِّ ارْخُصْ لِي صَدْرِي ۖ ﴾ (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ۖ ﴾ (٢٦) وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ مِنِّ لِسَانِي ۖ ﴾ (٢٧) يَقْفَهُوا قَوْلِي ۖ ﴾ (٢٨) وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ۖ ﴾ (٢٩) » (ابن عساکر، ١٤١٦ق، ٤٢ / ٥٢).

وبعد أبيات يتحدث الشيخ عن منزلة الإمام أفضل من قبل حين إنشاده:

٣٦٢. **وَهُوَ فِي آيَةِ (التَّبَاهُلِ) نَفْسُ الْمُصْطَفَى لَيْسَ غَيْرُهُ إِيَاهَا**

في الآية: ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْأَعْلَامِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ (آل

عمران/ ٦١)، قد عدّ الإمام (عليه السلام) نفس النبي صلي الله عليه وآله وهذا الأمر قد صرح به قاطبة من المفسرين من أهل الشيعة والسنة ومنهم السيوطي الذي قد أشار في كتابه "الدر المنثور" إلى قضية ابتهال النبي مع أهل بيته في مواجهة أهل نصاري نجران. (السيوطي، ١٤٠٣ق: ٢/ ٣٩).

والشاعر حينما أراد إنشاد هذا البيت قد تذكر آية المباهلة فأراد أن يقرب ذهن المخاطب بها فقد أظهر بشكل مباشر باسم الآية لكي يتخلى من الشبهات ويؤكد بأن الإمام نفس النبي وأي منزلة أعلي منها.

وأما من الفضائل الأخرى العالية للإمام هي سخاوته حيث قد جعله الضعفاء كعبة لأمالهم ومنبعا لقضاء احتياجاتهم، كما أشار الله سبحانه وتعالى بهذه الميزة فاستفاد الشاعر من هذا البيان قائلا:

٣٥٢. هل أتت (هل أتت) بمدح وإهـ لآ ومولى بذكره حلأها

فالله سبحانه و تعالى يقول في تنزيله العزيز: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ (٧) وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حَيْثُ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿٩﴾ (الإنسان/٧-٩)

هناك بعض من المفسرين يعتقدون بأن هذه الآيات من سورة "الإنسان" أو "هل أتت" نزلت في أربع من الخمسة الطيبة يعني علي (عليه السلام) وفاطمة (عليها السلام) والحسين (عليه السلام). منهم الزمخشري في تفسيره الكشف «الذي يرى أن الآيات الأولى من السورة نزلت في أهل بيت النبي (ﷺ) الذين يوفون بالنذر ويطعمون الطعام علي حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً» (زمخشري، ١١٦: ٤/٦٧٠).

فالشاعر في هذا البيت يحيل علي بعض الآيات من سورة الانسان دون أن يذكرها كاملة ويكتفي باستحضار النص القديم عبر كلمات قليلة يحيل عليه، وبالأبتداء بأول الآية يشير الي شأن نزولها ويعالج فضائل الإمام (عليه السلام) كرؤية رئيسة في سياق كثير من نصوصه الشعرية.

-أما الباحث ينتج من التناص اللفظي عند الشاعر بأن هذا النوع من التناص يعدّ من نوع التناص النفي الجزئي أو الاجترار إذ الشاعر جاء بجزء من النص الغائب في خلال النص الحاضر وقد ارتبط بشكل مباشر بين أشعاره والآيات ارتباطا وثيقا بواسطة التناص حيث يدعم هذه الالية جمالية القصيدة الجديدة ويثري معني النص الجديد وهذا الأمر يغني النص الحديث، لذا يؤكد محمد عبدالمطلب « أن الارتداد الي الماضي أو استحضاره من أكثر الأمور فعالية في عملية الإبداع، وهنا قد يحدث تماس - أو

بالضرورة سوف يحدث تماس- يؤدي الي تشكيلات داخلية، قد تميل الي التماثل، وقد تنحاز الي التخالف، وقد تنصرف الي التناقض، وفي كل ذلك يكون للنص الجديد موقف إزاء هذا التماس، ومن ثم تتجلي به إفرازات نفسية مميزة، تتراوح بين الإعجاب الشديد والرفض الكامل، وبينهما درجات من الرضي أحيانا، والسخرية أحيانا، الي غير ذلك من ظواهر المعني الشعري». (عبدالمطلب، ١٩٩٢: ٥٥)

ب) المفاهيم والمضامين القرآنية

من أنواع أخرى للتناص، هو التناص المعنوي حيث يأتي خالق أثر الحاضر بمفهوم مضمون النص الغائب خلال أثره بشكل مستتر وغير مباشر . سمي هذا التناص عند النقاد والباحثين بالامتصاص و« هو مرحلة أعلي من قراءة النص الغائب، وهو القانون الذي ينطلق أساسا من الإقرار بأهمية هذا النص وقداسته، فيتعامل وإياه كحركة وتحول لايفيان الأصل، بل يسهمان في استمراره كجوهر قابل للتجديد، ومعني هذا أن الامتصاص لا يجمد النص الغائب ولا ينقده، بل إنه يعيد صياغته فقط وفق متطلبات تاريخية لم يكن يعيشها في المرحلة التي كتب فيها، وبذلك يستمر النص الغائب غير محو، ويحيا بدل أن يموت». (الزواهرة، ٢٠١٣: ٥٢). «وهو من أصعب أنواع التناص وأعمقها حيث تظهر من خلاله مقدرة الشاعر بتلاعبه في اشتقاق المفردات لصنع لغة حديثة بدل اللغة القديمة مع خلق مضمون فكري جديد. هذا النوع من التناص أكثرها صيانة من المزالق حينما يكون قرآنا بعيدا من التلاعب بالأسلوب والشكل القرآني". (البياتي، ١٩٩٠: ٨٢/٢) فقد وظّف هذا النوع من الية التناص توظيفا حيويا عند الشاعر فسنشير الي بعض نموذجها:

٥٢٦. لم يرَ الله للنبوّة أجراً غيرَ حفظِ الودادِ في قُرباها

لما نزلت الآية (قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودة في القربي) (شوري/٢٣) قالوا يا رسول الله! من قرابتك؟ من هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال علي وفاطمة وأبناهما (عليه السلام) وقالها ثلاثاً (القرطبي، ١٤٠٥ق: ١٦/ ٢١ و ٢٢).

يقصد الشيخ الأزري باستعمال التناص هنا أن يبين حبّ النبي صلي الله عليه وآله لعلي (عليه السلام) وأهل بيته (عليه السلام) ويبلغ الناس أن حبّ الناس أهل البيت (عليه السلام) أفضل شئ

عنده، فيحكم بيته بمفهوم القرآن بالتناص غير الظاهري وغير المباشر بأسلوب خفي من الآية ٢٣ من السورة الشوري التي قد تطرح في كثير من الأشعار الشيعية. ثم يرسم شجاعة وصمود الإمام (عليه السلام) في يوم أحد ويتحدث عن معارك المسلمين قائلا:

٢١٠. رَبُّ سُمْرِ الْقَنَا وَبَيْضِ الْمَوَاضِي سَبَّحْتَ بِاسْمِ بَأْسِهِ هَيْجَاهَا...

٢١٤. فِتْنَةٌ مَا لَوْتُ مِنَ الرُّعْبِ جِيدَ إِذْ دَعَاها الرِّسُولُ فِي أَخْرَاهَا

يعتمد هذا النص الشعري علي الآية القرآنية: ﴿إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَكُونُوا عَلَىٰ

أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَجِكُمْ﴾ (آل عمران/١٥٣). فيبين شجاعة الإمام وصموده حيث خاف كثير من المسلمين في حرب أحد وهربوا الي الجبال متخذًا مكانًا آمنًا ولم يهتموا ببناء النبي مدعوا الي الثبوت والمقاومة لكنه قاوم ولم يترك ساحة الحرب. فهنا الشاعر يتأثر بشكل غير المباشر بالآية ١٥٣ من سورة آل عمران فيأتي بتناص لا شعوري اذ جاء بنص جديد متخذ المعني من النص الغائب مسهما في تكرار معني الآية و موضوعها الديني والتاريخي في صياغة جديدة.

ويكرر شجاعة الإمام مرة أخرى حين يصف ما وقع في يوم حنين:

٣١٨. حيث بعض الرجال تهرب من بيض المواضي والبعض من قتلاها

قتل كثير من المسلمين في هذا الحرب، كما هرب بعض منهم لكن الإمام (عليه السلام) وهو أشجع المسلمين قد قاوم وحارب حتي نهاية الحرب حيث يشير الآية الشريفة الي هذا الأمر: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٥٥﴾﴾ (التوبة/٢٥) فهنا الشاعر قد وظف التناص المتوازي بين النص الغائب والنص الحاضر إذ يبين مفهوم الآية في توصيف ماجري علي بعض المسلمين الذين غلب عليهم الخوف لكي يدلنا علي من ثابر و قاوم وحارب، فيأتي بمضمون الآية في بيته هذا بشكل غير المباشر بواسطة التناص الامتصاصي.

- وأما ينتج الباحث لهذا القسم أن الشاعر قد ارتبط بين النص الغائب (الآيات القرآنية) والنص الحاضر (أشعاره) بالتناص الامتصاصي أو المتوازي، وفي الحقيقة أن الشاعر انعكس مضمون الآيات القرآنية بشكل غير مباشر وغير ظاهري وهذا ما يدركه المخاطب حين التعمق والتأمل في الأبيات، لأنّ هذا النوع من التناص من أصعب أنواعه واستعماله يدلّ علي مقدرة الشاعر في خلق مضمون جديد خلال لغته الشعرية خاصة إذا كان القرآن هو النص الغائب.

٢. التناص بالأحاديث والروايات

يسترفد محمد كاظم الأزري من الأحاديث والروايات إضافة الي استيحائه من القرآن الكريم، فينوع في طرق استحضار صورة الإمام للتراث الديني، وتكثر بالإشارة الي الآيات والأحاديث وهذا الأمر يدلّ علي اطلاع الشاعر وعلمه علي هذا التراث الجامع والكامل الذي سنشير ونبين بعضها نموذجاً:

٢٠٦. هذه من علاه إحدى المعالي وعلي هذه فقس ما سواها

الشيخ قد اندمج بيته هذا بكلام النبي صلي الله عليه وآله حينما قال: «إن الله تعالى جعل لأخي علي فضائل لا تُحصي»: (جويني، ١٩٨٠: ١/ ١٩) وأتي بالتناص الامتصاصي المطلوب حيث قد ذكر وأشار الي النص الغائب خلال مدحه للإمام (عليه السلام) في بيته وهذا الأمر تمّ بشكل لا يمكن لكل شخص دركه وتفهمه.

ويدخل في البيت التالي وما يشبهه بعض النصوص القديمة في نسيج القصيدة بشكل مقصود من الشاعر، فهو يضمّنّها في نصوصه الشعرية لبيان وجهة نظره مندغماً في جماليات التعبير ضمن قصائده، فحينما يقصد أن يتحدث عن منزلة الامام عند الله سبحانه وتعالى ينشد:

٣٥٤. وبمعني (أحبّ خلقك) فانظر تجد الشمس قد أزاحت دجها

قدم أنس الي النبي (ﷺ) طائراً فقال (ﷺ): «اللهم أدخل إليّ أحبّ خلقك يأكل معي من هذا الطائر فدخل عليه علي (رضي الله عنه)» (المسعودي، ١٤٢٥ق: ٢/ ٤٩) فعليّ أحبّ خلق الله الذي دخل علي النبي وأكل معه الطائر، فالشاعر يريد أن يكشف

عن صورة الإمام فيشير الي حديث النبي بشكل غير المباشر خلال مدحه لفضائل الإمام ومنزلته عند الله ونبهه لكي يعطي نصه روحاً جديداً إضافة الي بيان عقائده الدينية.

ثم يستدعي الإمام (عليه السلام) مرة أخرى في فضيلة كاملة ويكرر نسبته عند النبي قائلا:

٣٥٩. وَتَفَكَّرْ (بَأَنْتَ مَنِّي) تَجِدْهَا حِكْمَةً تَوْرَثُ الرُّقُودَ انْتِبَاهَا

في حرب التبوك حينما خلف النبي الإمام بين أهله قال: "ان علي من رسول الله (ﷺ) بمنزلة هارون بن موسى وصلي القبلتين جميعاً وهاجر في الهجرة الأولى وشهد المشاهد كلها إلتبوك رده رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال اخلفني في أهلي ألا ترضي أن تكون مني بمنزلة هارون بن موسى" (ابن منجويه، ٥٠/٢)

فيدعو الشاعر المخاطب الي التفكير بشأن منزلة الإمام فيستعمل الفاظ (تفكر) ثم (أنت مني) حتي يسوقه الي حديث النبي بشأن الإمام حينما قال: فإنه مني وأنا منه وهو مني بمنزلة هارون من موسى إلا إنه لا نبي بعدي. (السمرقندي، ١٣٨٠: ٣٣٢/١) فيعبر الشيخ عن مراده عبر كلمات قليلة يدركه القارئ المطلع علي الأحاديث.

وأما يشتمل تناص بالروايات والأحاديث عند الشاعر كلا النوعين من النفي الجزئي والنفي المتوازي إذ جاء بتناسل شعوري وغير المباشر مرة ويشير اليها بشكل شعوري ومباشر مرة أخرى فيدخل نصاً داخل نصه بشكل التناص، فإنه يعتمد في كثير من أبياته علي رسوخ بعض التراث الدينية في ذاكرته الأدبية، وهكذا يسهم التناص لديه في تحفيز قارئ أشعاره علي استجلاء جماليات نصوصه الشعرية.

النتيجة

جعلت الشخصية الفريدة للإمام علي (عليه السلام) كثير من الشعراء في أديان ومذاهب مختلفة ليعبروا عن حبهم لفضائله في أشعارهم ولكن من بين هؤلاء، شعراء الشيعة يتمتعون بأحاسيس أرفع و عواطف أعمق والشيخ محمد كاظم الأزري يعتبر من شعراء يكشف شعره عن إيمانه العميق وعقيدته الثابتة ويحظي برؤية عميقة في العلوم الدينية والروائية لتصوير فضائل الإمام علي (عليه السلام) وعبر قصيدته الأزرية فاستطاع أن ينشر فضائل الإمام وأفكار الشيعة كما لم يكتف في شعره بالعاطفة والخيال لإثبات آرائه بل استمد أصول عقلية واستدلالات مقنعة نشأت من القرآن الكريم والأحاديث.

وأما الشاعر في قصيدة الأزرية استخدم التناص الديني من مصادر قرآنية وروائية في روعة وجمال والتداخلات التناصية التي شكّلت النص الحاضر بعد تداخل النص الغائب فمرة تستخدم بشكل شعوري ومباشر وظاهر وأخري بشكل لاشعوري وباطني وغير مباشر وذلك أن الشاعر استخدم في أبيات، النفي الجزئي وقام بتوظيف لفظ أو عبارة النص الغائب بشكل بين وفي أبيات أخرى قام بتوظيف الامتصاص وأشار في نصه إلي المضمون والمعني للنص الغائب عندئذ حاول الشاعر يقنع المتلقي بشكل شعوري ولاشعوري بأن فضائل الإمام علي (عليه السلام) تنطلق من معارف القرآن و الأحاديث المرية عن النبي صلي الله عليه وآله وسلم ويترك تأثيرا في الضمير الواعي الواعي واللاواعي للمخاطبين وهم من شرائح مختلفة.

Abstract

History of eulogy and praise to favorite personalities comprises a wide expanse of literature and poetry. Writing poetry of eulogy and elegy began from outset of Islam and had an unremitting process up to now expert for Baniomayeh Tyranny and opperession during Abbasid era. Mohammad Kazem Azriyeh is one of the greatest poet of Iraq in 12th and 13th century of hijri who is more popular for his eulogy prophet Mohamad and his family (Ahlolbayt)(PBUH) compared to his other poetic Techniques and has composed the eminent eulogy named "Alazriyeh" or "Al-ha-ee-yeh" of which only 580 stanzas are available.

This research attempts to study Amiralmomenin profile adopting a descriptive-analytical method through existing religious intertextualities in this eulogy. intertextuality is a term occurred in west and found its way into Arabic literature as well.

Religious intertextuality is the most significant one with the Iraqi poet and this lead us to explore this genre of literature in Azriyeh eulogy. The results of this research suggest that intertextual relationship of Sheikh Azry (the present text) with Quran and Ahadith (absent text) is sometimes intentional and direct while unintentional or indirect in other occasions.

The present research shows the depth of belief, faith and scope of religious knowledge and ultimately religious worldview of the poet as highlighted in his poetry.

Key words : Aliebn Abitaleb , intertextuality , eulogy , Ha – ee - yeh euology , Mohamad Kazem Azry .

قائمة المصادر والمراجع

- وخير ما ابتدئ به القرآن الكريم .
- آقا بزرج الطهراني، محمد محسن. الذريعة الي تصانيف الشيعة. طهران: مطبعة المجلس، الطبعة الأولى، ١٩٥٣.
- ابن أبي فراس حلبي. تنبيه الخواطر ونزهة النواظر بيروت: دار التعارف.
- ابن عساكر، علي بن الحسن. تاريخ مدينة دمشق (تاريخ دمشق). تحقيق علي شيري، بيروت: دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤١٥ق.
- ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب. ط: ٣. بيروت: دار صادر. ١٩٩٢م: ١٤١٤ق.
- ابن منجويه، رجال صحيح مسلم. بيروت. ١٩٧٨م.
- الأزري، محمد كاظم. الأزرية في مدح النبي والوصي والآل (عليه السلام). بيروت: دار الأضواء، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م.
- _____، محمد كاظم. ديوان الأزري الكبير. تحقيق شاكرا هادي شكر، بيروت: دار التوجيه الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م.
- البياتي، عبد الوهاب. ديوان. بيروت: دار العودة. ١٩٩٠.
- -جمعه، حسين. المسبار في النقد الأدبي. ط: ١. دمشق: اتحاد الكتاب العرب. ٢٠٠٣م
- -جويني، ابراهيم بن محمد. فرائد السمطين. مؤسسة المحمودي، ١٩٨٠.
- الرماني، ابراهيم. النص الغائب في الشعر العربي الحديث، مجلة الوحدة، العدد ٤٨، ص ٥٤.
- الزعبي، أحمد. التناص نظريا وتطبيقا. ط: ٣. مؤسسة عمون للنشر والتوزيع. ٢٠٠٠م.
- زنجشيري، جار الله محمود بن عمر. الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. قم: دفتر تبليغات اسلامي، ١٤١٦ق.
- الزواهره، ظاهر محمد. التناص في الشعر العربي المعاصر. دار و مكتبة الحامد للنشر و التوزيع. ٢٠١٢.
- السمرقندي، ابوالنضر محمد بن مسعود. تفسير العياشي. ج ١، تصحيح: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، تهران: المكتبة العلمية الاسلامية. ١٣٨٠هـ. ش.
- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر. الدر المنثور في التفسير المأثور. بيروت: دار الفكر، ١٤٠٣ق.

- شوشتری، قاضي نور الله. احقاق الحق وازهاق الباطل. با تعليقات سيد شهاب الدين مرعشي نجفي، قم: كتابخانه آية الله العظمي مرعشي نجفي، ١٤١١ ق.
- طعمه ي حلي، أحمد. التناص بين النظرية والتطبيق. ط: ١. دمشق: وزارة الثقافة. ٢٠٠٧ م.
- عبدالمطلب، محمد. التناص عند عبدالقاهر الجرجاني. مجلة علامات. المجلد ١، الجزء ٣، مارس ١٩٩٢ م.
- الغدامي، عبدالله. ثقافة الأسئلة. مقالات في النقد والنظرية. ط: ١. جدة. ١٩٩٢ م.
- عزام، محمد. تجليات التناص في الشعر العربي. دمشق: اتحاد الكتاب العربي. ٢٠٠١ م.
- فيروزآبادي، محمد بن يعقوب. قاموس المحيط. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٣٩٤ ش.
- قرطبي. الجامع لأحكام القرآن. عبد الله محمد بن احمد انصاري، بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، ١٤٠٥ ق.
- كريستفا، جوليا. علم النص. الطبعة الأولى. ٢٠٠٥ م.
- مختاري، قاسم. سبك شعر متعهد شيعي. مجله دانشگاه تهران. دوره ٤٧-٤٦. ش: ١٥٩-١٥٨. ١٣٨٠ ش.
- مسعودي، علي بن حسين. مروج الذهب ومعادن الجوهر. المكتبة العصرية، ١٤٢٥ ق.
- مفتاح، محمد. تحليل الخطاب الشعري. الطبعة الثالثة. بيروت: المركز الثقافي العربي. ١٩٩٢ م.